

قراءة في كتاب: العالم العربي في القرن العشرين¹

١ برلين .

صدر حديثاً (يوليو – 2015) عن دار كولهمر، للبروفيسور \ أودو شتاينباخ²

المدير السابق لمعهد الشرق في هامبورج –ألمانيا " العالم العربي في القرن العشرين – نهوض- - ". يحتوي الكتاب من الحجم الكبير على 414 ببليوغرافيا.

يقول شتاينباخ في المقدمة "أن تاريخ المجتمعات الإنسانية نادراً ما يتطابق مع التسلسل الزمني المستمر للقرن. وليس بالضرورة تشمل وحدات زمنية والسياقات التاريخية. هذا ينطبق أيضا على العالم العربي في القرن العشرين". انتمت أجزاء كبيرة من – هنا: بين الأطلسي والمحيط الهندي – أيضا – إمبراطورية كبيرة، ضمت بعداً عربياً ظهر في قبول ثقافي محدد وسياسي هامشي. تمددت الإمبراطورية العثمانية في القرن السادس عشر ضم سوريا وفلسطين وكذلك مصر وبلاد ما بين النهرين وشبه الجزيرة العربية واليمن – شمال أفريقيا الأبعد، المغرب حالياً - الإمبراطورية. وبالرغم من تعدد اللغات والثقافات بقيت السلطة وكذلك الجيش وال في يد العثمانيين. ويقول الكاتب، فقط في القرن التاسع عشر بدأ تأثير القوى التي عملت إظهار من جديد، السياسي. الحركات ، التي أكدت الخصوصية الفكرية و الثقافية العربية في مواجهة المركز السياسي في كونستانتينوبل.

إفريقيا السيطرة المباشرة وغير المباشرة، خاصة من فرنسا وبريطانيا. مع انهيار الإمبراطورية العثمانية بنهاية الحرب العالمية الأولى أنفسهم :

- البحث عن وضعهم السياسي في نظام عالمي تغير من الأساس.

- مشاركتهم مع مجتمه ية لإيجاد للحدثة الثقافية والحضارية التي أصولها أمريكا أيضا.

ويرى الكاتب، بان القرن العشرين يمكن تقسيمه مرحلتين ممتدين:

- المواجهة مع القوى الأوروبية، خاصة بريطانيا وفرنسا (أيضا إيطاليا واسبانيا).

- سعى النخبة الجديدة التي تكونت أثناء سيطرة القوى الأوروبية الأنظمة السياسية والاجتماعية، التي طبعت النظام العالمي الجديد. وهذا السعي لم يحدث بطبيعة الحال ليس داخل الديناميات الوطنية والاجتماعية عين الوقت باختراق نفوذ الولايات الصراع مع الاتحاد السوفيتي. أن سعي القوتان العظميان من أجل السيطرة العالمية، له تأثير التطور الداخلي والخارجي للبلدان العربية الحديثة.

يتعرض فيهم شتاينباخ تاريخ وتطور البلدان العربية، وهو يعني تلك البلدان المنضوية تحت لواء الجامعة العربية، بجانب الدول يعتبرها حسب قوله، هامشية (موريتانيا ، الصومال، جيبوتي) لا تتحدث اللغة العربية، فتركيبها والاجتماعي والثقافي يتحدد في سياق موقعها أفريقيا نضمامها

سياسية واقتصادية. وقبل أن يتابع الكاتب عرضه التفصيلي لكل بلد عربي على حدة، يسبق ذلك فقرات تاريخية كمدخل: بعناوين:

- الطريق الطويل القرن العشرين - النهضة الفكرية والاجتماعية حتى عام 1914 والحرب العالمية الأولى والامبريالية الأوروبية. ويكتب هذا الخصوص " بداية القرن العشرين للعالم العربي بنهاية الإمبراطورية العثمانية، فهذا لا يعني . من خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين برزت الشروط والديناميات التي من خلالها تكشف تاريخ ربي في القرن العشرين. وكان لذلك أبعادا خارجية تتعلق بمجموعة السلطات الدولية وأخرى تتعلق بمواجهة النخبة بناءً على ضغط التحديث القادم من أوروبا. لقد بدأ التاريخ الحديث لبلاد العرب، الذي بشرت به أوروبا في عام 1798 حسب مواجهة سياسة القوي بين الدول الأوروبية في سياق الثورة الفرنسية". ثم يتعرض الكاتب الثورة الفرنسية نابليون أثناء فترة حكمه الطويلة بوضع الأسس لبناء دولة حديثة. نشاء الجيش وتنمية الاقتصاد وتحديث التقنية . ثم يتعرض الثورة العربية...

ويواصل قوله فيشير، بان التطور الفكري والثقافي والاجتماعي في المنطقة العربية في القرن التاسع عشر جاء نتيجة مواجهة النخبة مع يديولوجيات والتيارات الثقافية والمؤسسات السياسية التي تعود جذورها أوروبا. وهذا ينطبق أيضا أفريقيا ومنطقة الهلال الخصيب، بينما لم تتأثر منطقة شبه الجزيرة العربية بذلك. ويشير هنا يف اليازج النهضة الثقافية يقول وكذلك بطرس البستاني واحمد لطفي السيد ومحاولة الطهطاوي الربط بين الثقافة الغربية ية. وكانت المعتقدات ية هي للأنظمة السياسية والاجتماعية في العالم . ويشير هنا جمال الدين ويقول تعدد أوجه النضال والجدال على خلفية الضغط المؤسس فكرياً وثقافياً وسياسياً من أوروبا ولاحقاً أمريكا لا يزال ساريا حتى الوقت الراهن. وهو يمثل موضوعاً أساسياً لتحديث العالم العربي كجزء من العالم بين الحداثيين والتقليديين والنشطاء بدوافع دينية يشكل في الوقت الراهن.

كما يكتب عن الحرب العالمية الأولى والامبريالية الأوروبية فيسرد تاريخ الاستعمار في الشرق الأوسط. كما يتناول تاريخ جميع البلدان العربية في القرن العشرين، الاستقلال، مستعرضاً التطورات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية المختلفة وإحصائيات هامة واللغة الرسمية :

العقيدة والأقليات الدينية والتركيبة السكانية (الاثنية) وتاريخ الاستقلال والنتاج المحلي

الفصلين " - أين "؟ و" الدول العربية والسياسة الدولية منذ الحرب العالمية الثانية" فيتناول أحداث وسياسة الاتحاد الأوروبي

ألمانيا . م هنا . الفصلين بتكثيف شديد، فهو تاريخ حديث

فنهاية الحرب العالمية الثانية تعني أيضا موقع الشعوب العربية في النظام الدولي، مقطعا عميقا. فالبلدان العربية متجذرة في نظام دولي تمثله : أمريكا والاتحاد السوفيتي ضعفت القوى الأوروبية التي كانت تسيطر إمبرياليا على العالم العربي. كما يستعرض الواجهة بين القوتين العظميين مباشرة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية في تركيا وإيران أمريكا العربية نتيجة لمسار الحرب في شمال أفريقيا ومع اندلاع الصراع بين إسرائيل 1948 حوز الزاوية للسياسة الأمريكية في الشرق الأوسط. باندونج ابريل 1955 وشخصية عبد رزماتية ودخول الاتحاد السوفيتي وخروجه منها مجبرا. يبحث في حرب الخليج الأولى والثانية وتأثيرهما على المنطقة والصراع

شهد العقد الأخير العشرين الولايات المتحدة الأمريكية وحيدة على بداية القرن الجديد ظهر الهبوط المثير لتأثير أمريكا

وحول سياسة الاتحاد الأوروبي في الشرق الأوسط، يشير الكاتب، بأن عصر الإمبريالية الأوروبية أصبح لا رجعة فيه ولكن التاريخ والجغرافيا - السياسية للبحر الأبيض المتوسط () لا يمكن تجنبه. وبالرغم من وزن الاتحاد الأوروبي الضعيف كفاعل سياسي في الشرق الأوسط، أنه يشير

ألمانيا والعالم العربي يقول شتاينباخ، كان العربي في القرن العشرين بالنسبة ألمانيا، يمثل مشهدا سياسيا جانبيا وبالنسب السياسية. ومع ذلك وربما على وجه التحديد- التحدث في سياق العلاقات خاصة من الجانب العربي مرارا عن الصداقة الألمانية- العربية. ويقول فلما يمكن الحديث عن العلاقات الألمانية - العربية نهاية الإمبراطورية العثمانية ولكنه يشير التقارب في منتصف القرن الثامن عشر بين روسيا والإمبراطورية العثمانية - سياسيا واقتصاديا وحربيا. ووقوف ألمانيا بجانب الإمبراطورية في الحرب العالمية الأولى. ومع نهاية الحرب كانت لسلطة سياسية ألمانية . وفي العهد النازي كانت السياسة الخارجية في أهمية هامشية أيضا. ولكن

مع ذلك ظهرت بعد عام 1933 آثار بينة للأفكار الفاشية والنازية في عموم - وسوريا والعراق مجموعات اجتماعية

وسياسية وأحزاب متفتحة على الأفكار الفاشية. ولكنهم لم يلعبوا في أي وقت من الأوقات دور مهم، ليس . ويشير التوتر بين ألمانيا الاتحادية مع بعض البلدان العربية التي اعترفت

بجمهورية ألمانيا الديمقراطية. كما يشير ألمانيا المشاركة في الحرب ضد العراق ووقوفها على الحياد 2011 قرار التدخل العسكري في ليبيا بحجة حماية

المواطنين. ألمانيا مع التغييرات العميقة في 2011 التدابير تحت كلمة " شراكة التحول"، المساعدة في بناء المؤسسات الديمقراطية، تشجيع

...

": بداية القرن الواحد والعشرين" يبين فيها

الكاتب، بان القرن العشرين للعرب اثبت لاحقا - مقروناً بالتجربة والخطأ. ولم يكن مسار الطريق مستقيماً للأوروبيين أيضاً، لنظام جديد لفارتهم بعد انهيار النظام الشرعي عبر القرون في 1918. ولكن بتكوين الاتحاد الأوروبي، و مع الأساس لنظام جديد، بالرغم من كل الشكوك - لمستقبل واعد. وهذا لم ينجح فيه العرب منذ انهيار النظام العثماني في عام 1918.

يمر بداية القرن الواحد والعشرين للعرب - الذي يتوافق مع السنة التقويمية لعام 2011 عنيف. مصحوباً، أيضاً بخيبة الأمل والشك.

تصاعد العزيمة وسط كل قطاعات الشعوب العربية تقريبا، أن يأخذوا مصيرهم بأيديهم: وتقرير مصيرهم بأنفسهم كأهداف منشودة. وبهذا يسيرون على تراث القوميين العرب، الذين بدأت لهم هذه الفرصة مواتية بنهاية الإمبراطورية العثمانية. وهنا بالضبط تكمن خيبة

النهوض مرتان؛ الفشل م ، هل سوف تنجح المحاولة الثالثة؟

هنا يشير ونس وانتفاضتها في 17 2010

والاضطرابات في ليبيا وسوريا ومصر واليمن والبحرين ومحاولة القوى الرأسمالية العودة من جديد السيطرة والنفوذ. الرؤية الماضوية.

ويرى " أنه يستوجب على أوروبا أن تقوم بدور نشط في تشكيل مستقبل المجتمعات العربية. فالقوي الأوروبية، هي التي قامت بقمع الانتفاضة الأولى وساهمت مع أمريكا الثانية. وليس فقط من هذه الخلفية تأتي مسؤولية الاتحاد الأوروبي لمستقبل القرن الواحد والعشرين، يجب التفكير كمسؤولية جماعية. تصور شامل، وهذا يعني الوعي، بأن التطورات داخل الشعوب العربية تؤثر أيضاً على مستقبلها. أن الاضطرابات وما صاحبها من عنف، الأنظمة الجديدة، دفعت بعض المراقبين في التشكيك، بأن الحدود التي رسمتها القوى الأوروبية بعد الحرب العالمية الأولى -اتفاقية سايكس - بيكو، أن تبقى كما هي.

أن السياسة التي تضع حدود الدول المرسومة موضع تساؤل، بوصلتها. أن تكوين الدول في منطقة سوريا الكبرى - تركيا كان بالتأكيد ولم يتفق مع تطلعات وتوقعات النخبة السياسية للمواطنين في زمنها ولكنها الشرعية لعدد كبير من المواطنين " ويرى شتاينباخ ترسيم الحدود من جديد يقود فوضى شاملة، ليس للمنطقة نفسها لنظام الدولي بكامله تأثير أيضاً

وهذا لا يعني عدم ترسيم الحدود بالمطلق، يتم ذلك بموافقة المواطنين، وهو يشير بذلك القضيتين: الكردية والفلسطينية. فإسرائيل نفسها نتاج عملية دولة من الخارج. وحل القضية الفلسطينية لا يزال يتراوح بين: حل الدولة الواحدة أو حل الدولتين. وطالما لا يوجد حل للصراع الفلسطيني الإسرائيلي، ستبقى فلسطين جرحاً متقيحاً ي

أيضا . أيضا هنا لا تستطيع أوروبا الهروب من عدم المساهمة في إيجاد

يقودنا شتاينباخ عبر فصول كتابه مسار خصب ومثير، مُنتبعاً تاريخ وتطور العالم العربي ومشيروا ما جابه المسار من كبير ونجاح جزئي دون فقدان الأمل مسار جديد

الشبيبة العربية، التي شاركت في الانتفاضات وثورات الربيع العربي وليست على ا
تترك التغيير الذي بدأ بالفعل أن يتوقف في بداية الطريق. والكتاب يمثل وثيقة تاريخية وسياسية هامة،
معروضة بتفصيل وإسهاب "نظرا للمساحة المتاحة يجب أن يكون عرض مسار
التاريخ مقتصراً على خطوط الأساس الرئيسية ومعد
المنيرة للـ". والكتاب لا غنى عنه لأساتذة وطلاب الجامعات في العلوم السياسية والتاريخ والاجتماع
البيبلوغرافيا 61 صفحة، مصدر قيم وهام لمن يريد أن
يتعمق في المادة.

التحية والتهنئة لهذا العالم الجليل الذي لا يزال باحثاً جاداً ومهموماً وملتصقاً ومتعاطفاً مع قضاياها في
وأفريقيا منذ أن كان مديراً لمعهد الشرق في هامبورج واستقباله العديد من الباحثين
هم أساتذة من جامعة الخرطوم.

هوامش:

1- Die arabische Welt im 20. Jahrhundert, Aufbruch- Umbruch- Perspektive,

Udo Steinbach, Verlag Kohlhammer2015

2- أودو شتاينباخ المدير السابق لمعهد الشرق في هامبورج (1976- 2006)

في مادة : السياسة والمجتمع في الشرق الأوسط في جامعة ماربورج (2007- 2010)، له
العديد من الكتب والأبحاث والمقالات حول الشرق الأوسط.